الجدار الصامد

إلى اخي : رجاء النقاش

•

بوابة البيت القديمة ، والجدار ..
والكوة الخرساء في أعلى الجدار ..
ما زال منسكباً خلال هدوئها ، لهب النار ..
ينساب عبر سكونها، شلال نار ..
والشمس تجمع ذيل مئزرها ، وتلقي قبلة فوق الجدار..
فالشمس تعشق بيتنا ، من يوم أن كنا صغار ..
وأخي نزار ..
ما آلم الذكرى ، أجل ، وأخي نزار
يخطّ صورته على جصّ الجدار ..
ليثاً تمنطق خنجراً ، ومن العيون تشعّ نار ..
متحفزاً للوثبة الكبرى ، يصدّ عن الديار ..
عدوان شرذمة القراصنة الكبار ..
ليموت ، من أجل الديار ..
ويعيش سكان الديار ..

***

« ماذا تقول لها ؟ » ، ويشملني دوار ..
أأقول مات اخي نزار ..
لا ، لم يمت ، هو لن يموت أخي نزار ..
لا ، لم تمزقه الكلاب الحمر ، فاغرة السعار ..
إلا ليحيا في الديار ..
في غور وجدان الديار..
أوَ لم يكن أقوى جدار ..
أوَ لم يصدّ عن الديار ..
عدوان شرذمة القراصنة الكبار ..
وخلا الجدار ..
من قده العملاق ، كي يحيا بأعماق الذين على الجدار ..

***

وأروح أرنو للجدار ..
جدار منزلنا العتيق، المستحمّ ببركةٍ من ذوب اضواء
[النهار ..
« ماذا تقول لها ؟ » ، ويشملني دوار ..
أنا عائد يا أم ، فانتظري رجوعي في النهار ..
ومعي نزار ..
لا ، لن أهادنهم ، كما فعل الكبار ..
سأعود يا أمي ، لأبقى حارساً هذا الجدار ..
وغداً ، أعود مع النهار ..
ومعي نزار ..
وعلى ذراعي باقة ، رويت من الدم والنضار ..
دم هؤلاء القائمين على الجدار ..
وأخي نزار ..
وترفّ حولي كل ارواح الذين استشهدوا عند الجدار .
وبلادنا العذراء راقصة على ضوء النهار ..
ترنو إلى ابنائها المتوشحين بباقة ، من تاج غار ..
وتبعثر القبلات فوق وجوههم ، قُبَلَ الفخار ..

***

أما الذين استشهدوا عند الجدار ..
كأخي نزار ..
فسيبعثون غداً ، مع الفجر المنار ..
في زهرة تزهو على الغدران ، راقصة النضار ..
في بلبل يشدو على الأغصان ، حرّكه انتظار ..
في نسمة عذراء ، ترقص فوق أجنحة النهار ..
في بسمة ، كالفجر ، قد رفّت على شفة الصغار ..
في غنوة المتدافعين ، من الحقول ، مع الثمار ..
في صيحة الوطن الحبيب ، تهزّه أفراح آمال كبار..
يا فتيتي ، طلع النهار ..
يا فتيتي ، طلع النهار ..

القاهرة

عبد المنعم عواد يوسف